

الاتصال الأسري في ظل انتشار الفضائيات التلفزيونية في الجزائر

أ/ لدمية عابدي . جامعة تبسة

ملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى التعرف على مفهوم الاتصال الأسري، و تحديد أهدافه و أشكاله، و الكشف عن الاستخدام الفعلي للفضائيات التلفزيونية من رف أفراد الأسرة الجزائرية، و آثار هذا الاستخدام على الاتصال الأسري ايجابيا و سلبيا، و محاولة التوصل إلى خطط علاجية لمختلف المشكلات التواصلية الأسرية في ظل تأثرها بمضامين الفضائيات التلفزيونية.

وتوصلت هذه الدراسة إلى واقع الانتشار الواسع لاستخدام الفضائيات التلفزيونية عند الأسر العربية بصفة عامة والأسرة الجزائرية بصفة خاصة التي أصبحت تعتبرها وسيلة حتمية للترفيه و التثقيف و التعليم و حتى التنشئة الاجتماعية، فساهمت في تنشيط التفاعل الأسري عن طريق طرح مواضيع متنوعة قابلة للمناقشة بين أفراد الأسرة من جهة، و ساهمت أيضا في تكريس مظاهر العزلة و الفردانية من جهة أخرى.

Résumé :

Cette étude vise à identifier le concept de la communication familiale et de déterminer ses objectifs et ses formes. Elle détecte aussi l'utilisation effective de la télévision par satellite par les membres de la famille algérienne, les effets positifs et négatifs sur l'interaction familiale et la recherche des plans de traitement pour divers problèmes de communication dans la famille affectée par le contenu de la télévision par satellite.

Les résultats de cette étude à la réalité de l'utilisation généralisée de la télévision par satellite chez les familles arabes généralement et la famille algérienne sont devenues un moyen inévitable de divertissement et d'éducation, et même de socialisation, contribuant à la revitalisation de l'interaction de la famille en offrant une variété de sujets de discussion entre les membres de la famille d'une part, et d'autre part a contribué à consacrer des manifestations d'isolement et d'individualisme.

مقدمة:

تعتبر الأسرة الخلية الأولى و الأساسية في بناء المجتمع وتنشئة الأفراد، فقد استمرت في لعب هذا الدور على امتداد الحضارة الإنسانية رغم اختلاف شكلها ونمطها بدءاً من الأسرة الممتدة التي كانت سائدة قبل المجتمعات الصناعية حيث تميزت بالرعاية الأبوية، وجماعية المشاركة في النشاطات والمناسبات العائلية، وتماسك العلاقات الأسرية التي كرّستها قوة التفاعل الأسري بين أفراد تجمعهم رابطة الدم والقرابة، يتبادلون ويتشاركون في الأفكار والمعلومات والحاجات والمشاعر.

وصولا إلى الأسرة النووية التي تتكون من الزوج والزوجة ويتناقص فيها عدد الأولاد حتى يصل إلى طفلين أو طفل في بعض الأحيان، وفيها لم تعد مصادر التربية وزرع الأخلاق محصورة على الأب والأم والمعلم، بل أصبحت وسائل الإعلام وخصوصا الفضائيات التلفزيونية تلعب دورا كبيرا وهاما في هذا المجال لما تتميز به من خصائص تجعلها أكثر قوة وتأثيرا في الأفراد من خلال الصوت والصورة والحركة، وهذا ما يجذب كل شرائح المجتمع مهما كانت أعمارهم ومستوياتهم، خاصة بعد ظهور الفضائيات التلفزيونية المتعددة، المتنوعة والمتخصصة أيضا في مجالات كثيرة.

والأسرة الجزائرية من بين الأسر التي أصبحت تعتبر الفضائيات التلفزيونية وسائل حتمية لإشباع حاجات ايجابية تتعلق بالعلاقات الاجتماعية فهناك من يعتبرها كمصدر من مصادر الموضوعات التي تعمل على تنشيط الحوار بين أفراد الأسرة، وهناك من يستخدمها قصد التسلية والترفيه وتحقيق الاسترخاء، وإحداث نوع من التوازن النفسي الذي يجعل الفرد عنصرا فاعلا في الأسرة، أو تقريب المسافات بين أفراد الأسرة المتباعدين، وآخرون يستخدمونها كشكل من أشكال العلاقات السلبية لتحقيق نوع من الهروب من الواقع مما يؤدي إلى العزلة والفردانية، فنجد كل فرد من أفراد الأسرة يعيش عالمه الخاص، وفي هذه الحالة أصبح الاتصال الأسري تحكمه الوسيلة أكثر من الرسالة، مما جعل الفضائيات التلفزيونية تؤثر سلبا على العادات التواصلية للأفراد، وأنماط السلوك والقيم الاجتماعية لدى شرائح واسعة من الأسر من بينها الأسر الجزائرية، وهذا ما يطرح تحديات كبيرة حول كيفية التعامل مع هذه التكنولوجيا، وكيفية الحفاظ على مبادئ التفاعل الأسري الفعال مع الانفتاح على العصر، وهذا يجعلنا نطرح التساؤل التالي: ما هي التغيرات التي طرأت على الاتصال الأسري في ظل انتشار الفضائيات التلفزيونية في الجزائر؟.

1- الأسرة كمؤسسة اتصالية :

إن الأسرة كمؤسسة اجتماعية مميزة عن سائر المؤسسات الأخرى، لكونها وحدة إنتاجية تزود المجتمع بأعضاء جدد، ومميزة لكون العلاقات فيها قائمة أساساً على الروابط العاطفية، فالأسرة مهمة من ناحيتين : مهمة لنمو الطفل النفسي والاجتماعي والجسمي، ومهمة بالنسبة للوالدين لاستكمال النضج الاجتماعي، حيث يمارس فيها كل منهما الأمومة والأبوة وعن طريق الممارسة الوالدية يزودان الطفل بالقيم والمفاهيم التي تجعل منه عضواً فاعلاً في مجتمع ما، وهذا لن يكون إلا عن طريق الاتصال الأسري .

1-1- مفهوم الأسرة:

لقد ظهرت خلال السنوات الماضية عدة تعريفات للأسرة تتجه جميعاً إلى إبراز الارتباط الدائم بين الرجل والمرأة، وما يترتب على ذلك من إنجاب ورعاية للأطفال والقيام ببعض الوظائف التي لم تسقط عن الأسرة في تطورها من صورة إلى أخرى بتغير المجتمع والثقافة، وسنستعرض هنا بعض أهم تعريفات الأسرة¹:

يعرّف ماكيفر الأسرة بأنها : "جماعة دائمة مرتبطة عن طريق علاقات جنسية بصورة تمكّن من إنجاب الأطفال ورعايتهم، وتقوم على معيشة الزوجين معاً ويكونان مع أطفالهما وحدة مميزة" .

وهناك من يعرفها على أنها تجمع قانوني لأفراد اتحدوا بروابط الزواج و القرابة، وهم في الغالب يشاركون بعضهم بعضاً في منزل واحد ويتفاعلون تفاعل متبادل طبقاً لأدوار اجتماعية محددة تحديداً دقيقاً.

تعرف أيضاً بأنها الجماعة الأولى التي ينتمي إليها الطفل ويعيش بين عمرانها مع أفرادها في سنوات عمره الأولى، وهي المعمل النفسي الذي ينال الطفل فيه أول قسط من التربية، وينعم فيها بالحب والطمأنينة ويصاحبه أثرها طوال حياته، وللأسرة مسؤولية كبرى في تقرير النماذج السلوكية التي يبدو عليها الطفل في كبره، فالأسرة هي المدرسة الاجتماعية الأولى للطفل وهي العامل الأول في صياغة سلوكه الاجتماعي².

فتكمن أهمية الأسرة إذن إلى أنها مجال شامل لكل أنواع العوامل الاجتماعية وإلى أنها المعهد الأول للتنشئة الاجتماعية (التربية) للطفل، فالمدرسة أو أية مؤسسة اجتماعية أخرى لا يمكن أن تقوم بواجبها في مجال الرعاية الاجتماعية إلا عن طريق الأسرة .

1-2- أشكال العلاقات الأسرية :

أ - **العلاقة الزوجية :** علاقة الزوج والزوجة أهم نوع من أنواع العلاقات الأسرية لما لها من تأثير بالغ على استمرار الأسرة، والتفاعل الإيجابي بين الزوجين المبني على المحبة والمودة، وإشباع الحاجات الأساسية والثانوية أمر ضروري لتحقيق الاتزان النفسي والتماسك الاجتماعي، فإذا كان تواصلهما جيداً كان تفاعلهما إيجابياً لهما ولباقي أفراد الأسرة، أما إذا كان تواصلهما ضعيفاً مضطرباً كان تفاعلهما عبارة عن غضب وضيق مما يؤثر سلباً في الأسرة كاملة، وكلما أحسن الزوجان أساليب ووسائل اتصالهما أدى ذلك لنتائج سلوكية إيجابية تنعكس على تصرفات وسلوك الأطفال . ورغم هذا لا وجود لأسرة وحياة زوجية دون مشكلات وخلافات وعلى الوالدين أن يحاولوا حلها بالحوار والتفاهم والمناقشة والاحترام المتبادل، وأن يناقش مشكلاتهما بروح معنوية عالية.

ب- **العلاقة بين الطفل والوالدين :** إن اتصال الزوجين بأولادهما يعد من أهم الركائز التي تقوم عليها التنشئة الاجتماعية بوجود التفاهم والحوار بينهم (فمعظم المشاكل النفسية مترتبة عن انقطاع الحوار داخل الأسرة) لما له من مردود إيجابي على التربية الوجدانية للطفل، وينشأ الأولاد عادة متأثرين بالصلات القائمة بين أفراد أسرهم وبتيكفهم اجتماعياً في أول سنوات عمرهم .

وتتضمن هذه العلاقة تفاعلاً مستمراً وتأثيراً متبادلاً، فالتفاعل المتضمن الجوانب السلبية منذ البداية كالرفض مثلاً يؤدي بالطفل إلى الانزعاج والاستجابة بطريقة سلبية، بينما التفاعل المتضمن لجوانب إيجابية كالقبول يؤدي بالطفل إلى الارتياح والاستجابة بطريقة إيجابية³.

- **علاقة الأب بالأبناء :** ثاني أهم العلاقات الأسرية، والتي يحس الطفل من خلالها بالأمن والطمأنينة لأن الأب هنا هو الذي يمثل السلطة والمثل الأعلى، وكلما اتسمت علاقة الأب والأبناء بالعطف والحنان كلما كان نموهم العقلي والنفسي سليمين، وإذا سعى الآباء إلى مودة الأبناء ووثقوا وتعلقوا بهم كان ذلك دافعاً لهم للاستجابة للمطالب الأسرية، وهناك بعض الآباء الذين يتبعون السلطة والاستبداد في بعض الأحيان ظناً منهم أنها تمثل النظام الأسري الأصلح لتقويم الأبناء، والحفاظ على هيبتهم⁴.

- **علاقة الأم بالأبناء :** إن الطفل منذ ولادته يكون شديد الارتباط بأمه حيث لا يستطيع الابتعاد عنها، فهي تساهم في تشكيل شخصيته وإشباع حاجاته بالدور الأكبر في تنشئته، وهي علاقة الود والمحبة حيث يشعر بالطمأنينة

بين ذراعيها، وأي ضعف في العلاقة معها يؤدي إلى ظهور سلوكيات انحرافية ناتجة عن عدم الحماية، واللامبالاة، ولهذا على الأم توفير قدر كبير من الاهتمام بالابن من أجل نموه النفسي والجسمي وعليها سماع أحاديث أبنائها وعدم تجاهلها حتى لا يشعرون بالنقص، والتوتر النفسي، وتجنب الصراعات داخل الأسرة لأنها تؤثر سلباً على سلوكياتهم، وعليها مراقبتهم باستمرار وعدم توبيخهم⁵.

ج- العلاقة بين الأخوة : وهي مشاركة الإخوة وتفاعلهم مع بعض في الأمور الخاصة والعامة التي تعزز قربهم داخل الأسرة، كما يعني تفاهم الأخ أو الأخت مع بعضهم وحوارهما معاً حول ما يريده كل منهما من الآخر أو أخذ رأيهم في موضوع ما، وتبادلهم مشاعر الود والاحترام والمساندة والمساعدة والمواساة والتهنئة، فرباطهم إلزامي، واتصالهم يعتبر من عوامل استقرار الأسرة وتماسكها .

وترتبط هذه العلاقة بحجم الأسرة من جهة والعلاقة الزوجية من جهة أخرى، فعندما يزداد حجم الأسرة، تقل فرص التواصل بين الطفل والآباء، لكن مواقف التفاعل بين الأخوة تزداد، والأخوة كالأباء مصدر لتعلم الاتجاهات والمعتقدات وأنماط السلوك بجماعة ما، فهم يعملون على ضبط سلوكيات بعضهم البعض، وقد يساعد وجودهم على ملء الفراغ في العلاقات بين الوالدين والطفل في حالة توفر اهتمام وعطف متبادل فيما بينهم .

2- الاتصال الأسري:

هو التفاعل الذي يشير إلى الطريقة أو العملية التي تنتقل بها الأفكار بين الأفراد داخل نسق اجتماعي معين، تختلف من حيث الحجم ومحتوى العلاقات المتضمنة فيه، وهذا النسق قد يكون علاقة ثنائية بين شخصين أو جماعة صغيرة كالأسرة أو مجتمع محلي أو قومي أو إنساني ككل ومن هنا تظهر أهمية التفاعل الأسري من حيث كونه:

- 1- نشاط أساسي في حياة أفراد الأسرة .
- 2- أساس الحياة الأسرية تزدهر الحياة به وينمو بالشكل الذي يتفق مع كيان الأسرة .
- 3- يمكن الأفراد من التعبير عن كل ما يجول في خاطرهم من هموم وحاجات ورغبات لبعضهم كما يسمح بالتعبير عن مشاعرهم تجاه بعضهم بالإيجاب أو بالسلب⁶.
- 4- يمكن أفراد الأسرة من حل المشاكل الخاصة بأحدهم أو بأسرتهم ككل والتي لا يمكن تجنبها حتى تستقيم حياتهم.

5- يعتبر التفاعل الأسري صمّام الأمان الذي يضمن التماسك الداخلي لبنين الأسرة ويمثّن أواصر علاقات أفرادها مما ينعكس إيجاباً على الطمأنينة النفسية والسكينة الروحية .

2-1- مفهوم الاتصال الأسري:

عند تعريفنا للاتصال الأسري علينا أولاً أن نخرج إلى تعريف الأسرة على نطاقين:

الأول: الأسرة النووية: وهي ما يطلق عليها الأسرة النواة أو الصغيرة وهي تتألف من الزوج والزوجة وأولادهما المباشرين.⁷

وعلى هذا الأساس نعرّف الاتصال الأسري من حيث شكل هذه الأسرة ب: هو عملية تواصل اجتماعي بين الزوج والزوجة، وبين الأولاد إخوة وأخوات يتبادلون فيها المعلومات اللفظية وغير اللفظية بشكل مباشر، وجها لوجه.

فالعلاقة هنا علاقة أولية مباشرة تتضمن الفعل ورد الفعل، وقوة التأثير فيها قائمة على أساس المواجهة والاحتكاك المباشر، فينتج عنها نوع من الترابط والانتماء الذي بدوره يقوي روابط الأسرة لاشتراكهم في المكان والزمان.⁸

الثاني: الأسرة الممتدة أو المركبة: وتتألف من الزوج والزوجة والأولاد المباشرين وزوجاتهم وأحفادهم والبنات غير المتزوجات وأشقائهم الزوج وزوجاتهم وأولادهم وشقيقات الزوج غير المتزوجات وغيرهم من أبناء العمومة والأقارب وهو ما يعرف في الإسلام بأولي الأرحام.⁹

فهذه الأسرة مكونة من عدة أسر زواجية تربط أفرادها رابطة الدم والنسب في معيشة واحدة، وتعاون اقتصادي فيما بينهم .

وتعريف التفاعل الأسري هنا أوسع فهو: عملية مشاركة وتفاعل اجتماعي بين أفراد تجمعهم رابطة الدم والقرابة يتبادلون ويتشاركون في الأفكار والحاجات والمعلومات والمشاعر، يقوم على طرق اتصالية مختلفة تحكمه أشكال متغيرة حسب الموقف الأسري .

إذن فالتفاعل الأسري هو تكوين علاقة متبادلة بين فرد أو أكثر من أفراد الأسرة، بحيث يؤثر كل طرف في العلاقة على الطرف الآخر، ويتأثر به من خلال عملية التفاعل بينهما عن طريق الإدراك والاستجابة لهذا الإدراك، من خلال وسائط مختلفة تصنف إلى وسائط لفظية تتضمن الكلام المنطوق والمقروء، ووسائط غير لفظية تتضمن المثيرات والمنبهات التي تساهم في تنشيط التفاعل الأسري.

2-2- خصائص التفاعل الأسري:

- يعتبر التفاعل الأسري عملية تواصل اجتماعي أو وسيلة تفاهم بين أفراد الأسرة فمن غير المعقول أن يتبادل أفراد الأسرة الأفكار من غير أن يحدث تفاعل اجتماعي بين أعضائها.
- لكل فعل رد فعل مما يؤدي إلى حدوث تفاعل اجتماعي بين أفراد الأسرة الواحدة .
- عندما يقوم الفرد داخل الأسرة بسلوكات وأداء معين فإنه يتوقع حدوث استجابة معينة من أفراد الأسرة إما إيجابية وإما سلبية، فالزوج مثلاً يتوقع من زوجته أن تبادله العبء وتتعاون معه فيما يتعلق بشؤون أسرته الصغيرة لتكوين حياة مستمرة هائلة، وكذلك الزوجة تتوقع من زوجها أن يخلص لها وأن يتحمل مسؤولياته في الإنفاق عليها وعلى أبنائها وفي حماية ورعاية الأسرة التي قاما بتأسيسها سوياً إذن فالعلاقات الأسرية الاجتماعية تؤدي إلى ظهور مجموعة من التوقعات الاجتماعية الثنائية.¹⁰
- التفاعل بين أفراد الأسرة يؤدي إلى ظهور القيادات وبروز القدرات والمهارات الفردية.
- يمتاز التفاعل الأسري بالاستمرار والإسهام بتكوين شخصية الطفل و عاداته وميوله و اتجاهاته.

2-3-أهداف التفاعل الأسري :

- يهدف التفاعل الأسري إلى تغيير معلومات واتجاهات وسلوك أفراد الأسرة مما يؤدي إلى تقوية العلاقات الأسرية وتماسكها، فرغبة كل فرد بأن تعمل أسرته مجتمعة لتحقيق الرسالة الأسرية فإنها ترتقي بدين وقيم وأخلاق أفرادها، وتقوي روابطها وتوجه سلوكهم وممارستهم واتجاهاتهم، حتى يخلصوا إلى الأهداف الأسرية وهي كالتالي¹¹:
- إشباع حاجات الإنسان الطبيعية.
- وضع الأفكار والمشاكل على طاولة البحث .
- تحقيق الترابط الذي يعتبر سئمة وجود قانون كوني وهو جهاز المناعة في الأسرة، ومصدر الإبداع والسعادة فيها، والذي يوجد جوا صالحا لضمان النشأة والتربية السوية.
- يحقق الاستقرار الأسري الذي يوقر السكينة والديمومة والتواصل الذي يكفل لها حفظ توازنها وأداء كل من فيها دوره والذي هو من أهم آثار التفاعل والتنشئة الأسرية .
- يؤدي إلى تماسك الأسرة وترابطها ويجعلها كالجسد الواحد .

- تخفيف مستوى الإحباطات والتوترات والضغوطات التي تتعرض لها الأسرة من الداخل أو الخارج، وبالتالي حماية الأسرة من الانهيار .
 - تماسك الأسرة.
 - يعتبر التفاعل ضروريا لتطور الأفراد من علاقة ما قبل الزواج إلى العلاقة الزوجية، وتستمر أهميته أثناء الزواج وخلال الحياة .
 - يعتبر الاتصال مفتاح التفاهم والانسجام فعندما نتحاور فإننا نعبر عن أنفسنا بكل خبراتنا الحياتية وبيئتنا الأسرية والتربوية، وانعدام الحوار والتواصل بين أفراد الأسرة من الأسباب المباشرة المؤدية للمشكلات الأسرية.
- 2-4- أساليب التفاعل الأسري:

إن من سمات الأسرة أن تتبادل المعلومات من معرفية أو عاطفية أو سلوكية بواسطة اللغة اللفظية بين أفرادها لقضاء حاجاتهم المتنوعة الشخصية والمشاركة، واختيار طريقة التفاعل المناسبة في الأسرة تعتمد على الهدف الاتصالي المنشود وطبيعة المستقبل والرسالة والزمان والمكان والموقف الأسري، ف لغة التفاهم والتحاور بين أفراد الأسرة تتم دون وسائل اتصال جماهيرية كالصحف والإذاعة والتلفزيون، بل تعتمد الاتصال الشخصي المواجهي والذي نجد الأسرة تتبنى فيه عدة أساليب اتصالية :

2-4-1- الاتصال اللفظي: يكون مشافهة أو مكتوبا أو حتى بالمعاملات المتعارف عليها طالما أنها تحوي كلمات، وأهم قنوات التفاعل الأسري اللفظي ما يلي:

أ - شفوية: كاجتماعات التي تعقدها الأسرة لأفرادها أو العائلة ككل أو اجتماعهم حول مائدة الطعام فهي وسيلة هامة تتيح للأفراد التفاعل من خلال الحوار والمناقشة وإبداء الرأي .

فالاجتماع الأسري هو عبارة عن اشتراك أفراد الأسرة في لقاء لتحقيق هدف أو أهداف معينة أو حل مشكلة أو مناقشة رأي أو تفسير موقف، وتظهر أهميته في¹²:

- تهيئة فرص التبادل الفكري بين أفراد الأسرة.
- يعتبر موقفا مناسباً للتدرب على المناقشة .
- يساعد على تكوين علاقات اجتماعية قوية بين أفراد الأسرة.
- تهيئة الفرصة للعمل التعاوني .
- يثير في الأفراد محاولة التفكير في المشاكل وتقويم آرائهم والشعور بغيرهم، والحوار بحد ذاته يعمق الحب والمودة والتعاون والالتزام بأداب الحديث، ويقوم الاعوجاج والانحراف بأبسط الطرق وأيسر السبل.

ب- **سمعية:** كالمكالمة الهاتفية التي يقوم بها أحد أفراد الأسرة بالاتصال بأسرته والاطمئنان عن أقاربه وهي بمثابة الزيارة عند البعض.

ج- **مكتوبة:** فسابقا عند غياب أحد أفراد الأسرة كالزوج مثلا تراه يرسل أسرته بكلام مكتوب معبرا به عن كل ما يجول في خاطره من مشاعر وإحداث مرت به، ويبادلونه بالمثل، أما عند ظهور التكنولوجيات الحديثة للإعلام والاتصال فاستبدلت الرسائل المكتوبة المطولة والتي تستغرق وقتا طويلا للوصول، برسائل البريد الإلكتروني عبر الإنترنت، والرسائل القصيرة عبر الهاتف .

2-4-2- **الاتصال غير اللفظي:** والذي يتم التعبير عنه من خلال الرموز ويتضمن ما يلي:

أ - **تعابير الوجه:** يتفق الجميع أن الوجه هو المرآة التي تعكس جميع المشاعر والانطباعات الداخلية عندنا، وأنه الوسيلة الثانية بعد الكلمات في الاتصال والذي يعبر عن المكونات الداخلية، فكان الرسول صلى الله عليه وسلم باسمه ضاحكا مع أهله، وقد سئلت عائشة رضي الله عنها كيف كان صلى الله عليه وسلم إذا خلا في بيته قالت : كان ألين الناس ياسما ضاحكا، وحديث المصطفى صلى الله عليه وسلم : " تبسمك في وجه أخيك صدقة ¹³ "، فتعابير الوجه تستعمل لإرسال رسائل بين أفراد الأسرة كالممازحة والملاطفة بين الزوجين، وبينهم وبين أطفالهم .

ب - **العيون :** تراها ترسل رسائل إلى الشخص المقصود معبرة عما يكمن المرسل له، وقد دلت نتائج الأبحاث والدراسات على أن الحواس تساهم في اكتساب الأفكار المختلفة واحتلت حاسة البصر المرتبة الأولى حيث يكتسب الفرد من الخبرات عن طريقها 75 % بينما السمع 13 % يليها اللمس 6 % وبعدها الشم 3 % وأخيرا الذوق 3 % ¹⁴.

وتعتبر العين من أكثر القنوات المعدة للاتصال غير اللفظي المتوافرة لدى الأسرة ويمكن أن يستعملها الزوجان تجاه بعضهما أو الوالدين تجاه أبنائهما، فتعبر أحيانا عن التهرب من المواجهة، وتنقل مشاعر القلق والخوف، والشعور بالذنب أحيانا أخرى ويمكن أن تعبر عن الثقة والحب والمساندة، كذلك بواسطة المناجاة بالعيون يمكن أن تعقد محادثة طويلة صامتة أو عتابا قصيرا .

ج - **تعابير الجسم:** الإيماءات بالرأس، والذراعين واليدين، وأجزاء أخرى من الجسم هي وسيلة من الوسائل العامة سريعة الانتشار والاستعمال لدى أفراد الأسرة، فكل حركة من هذه الحركات أو الإيماءات هي اتصالات بدنية تترجم على أنها معلومات ورسائل صادرة إلى المستقبل، وتستعملها الأم خاصة لفهم طفلها الصغير الذي لا يستطيع التعبير بالكلام .

٤ - **اللمس:** أداة اتصالية ترتبط بنوع العلاقة بين المرسل والمستقبل، فهي تعطي الأولاد الشعور بالأمان والحنان والمحبة، وعند الكبار تعطي الشعور بالحماية والدعم والاهتمام .

2-5- معوقات الاتصال الأسري:

هناك عدة متغيرات تعيق عملية تبادل المعلومات والأفكار والمشاعر أو تؤخر إرسالها واستقبالها أو تحرف مسارهما أو تشوّع معناها وبالتالي يؤدي إلى رفضها من قبل المستقبل، و تعيق الاتصال الأسري أو تمنعه حتى لو كان أفراد الأسرة في مكان واحد، ويطلق عليها المعوقات، ومنها ما يلي:

1. العنف الأسري والإساءة المستمرة التي تفقد الأهداف العامة للأسرة وتحد من التعاون فيما بينهم و تضعف الوعي بالاتجاهات العاطفية.
2. الموت أو المرض أو التهديد بالطلاق بين الحين والآخر أو الهجر بلاسبب.
3. الاستسلام للغضب الذي يغيب التعاطف ويضعف الاستماع.
4. انشغال أحد الوالدين أو كليهما عن بعضهما بعيدين عن أولادهما ومنزلهما وتركهم للمربين أو الخدم وهم في سنوات حرجة من عمرهم أو للشارع.
5. تراكم المشاكل والضغوطات والتنازل عنها دون حل لها أو اعتذار والتكرار للعشرة بسهولة، وبذلك يخفّ الضبط الاجتماعي على الأسرة وتختل الموازين.
6. فقدان أسلوب فن التعامل مع الغير
7. تسلط بعض الآباء وغياب عاطفتهم عن أسرهم وغياب الحوار بينهم.
8. الاعتداء على خصوصية الأفراد وانعدام الثقة بنشر الأسرار الأسرية .
9. عدم القيام بالحقوق والواجبات الموكولة إلى كل فرد من أفراد الأسرة ن وسبب ذلك التخلي هو اضطراب في مفهوم الدور لدى أفراد الأسرة فعجزوا عن القيام بأدوارهم بطريقة صحيحة وهذا ما قد يؤثر في نوعية وقوة العلاقات الأسرية .
10. ضعف مشاركة المرأة لزوجها في الحياة الأسرية، واكتسابها لبعض العادات والتقاليد السيئة التي تعتبر رواسب اجتماعية عالقة مثل التكلف الزائد لحد الإسراف¹⁵.
11. عدم الانسجام بين الزوجين لعدم التوافق النفسي والاجتماعي أو التكيف الشخصي.
12. نمو الأنانية الفردية بين أفراد الأسرة.
13. عدم وضوح وحدودية الهدف لكلا الزوجين¹⁶.
14. عدم ضبط السلوكات اليومية من نوم واكل ومشاهد تلفاز وممارسة الأنشطة.

15. دخول الفضائيات التلفزيونية التي احتلت الوقت الذي تقضيه الأسرة مع بعضها فبدلاً من الحوار تراههم يجتمعون لمشاهدة برنامج دون مشاركة أو تفاعل من أحدهم مع الآخرين، بالإضافة إلى الهواتف النقالة والكمبيوتر والانترنت التي أصبحت جزءاً من حياة الأطفال وهم في أعمار صغيرة فأخذت وقتهم من أسرهم فابتعدوا وانقطع الاتصال بينهم¹⁷.

ومن العائق الأخير سننطلق لتتعرف بأكثر تفاصيل على التغيرات التي طرأت على التفاعل الأسري في ظل انتشار الفضائيات التلفزيونية.

3- الفضائيات التلفزيونية:

لم يعد التلفزيون كوسيلة اتصال جماهيرية مجرد أداة لنقل الأخبار المصورة، مسجلة أو مباشرة عبر الأقمار الصناعية، بل أصبحت تتميز بقدرة خارقة على الإقناع والتأثير والسيطرة على جميع أفراد المجتمع إلى درجة جعلت مارشال ماكلوهان يرى أن التلفزيون كوسيلة أهم من مضمونها، فالناس يشاهدون التلفزيون مهما كانت البرامج المذاعة بحكم أنه يفرض سيطرته على البشر.

3-1 مفهوم التلفزيون:

أ- لغوياً: مكون من مقطعين tél ومعناه عن بعد و vision ومعناه الرؤية أي هو رؤيته عن بعد.

ب- علمياً: هو طريقة إرسال واستقبال الصورة و الصوت من مكان لآخر بواسطة الموجات الكهرومغناطيسية و الأقمار الصناعية.¹⁸

ج- تعريف الفضائيات التلفزيونية: لفظة حديثة وهي اختصار لقنوات التلفزيون الرقمية التي تبث من خلال الأقمار الصناعية، أو هي المحطات التلفزيونية التي تبث إرسالها عبر الأقمار الصناعية لكي يتجاوز هذا الإرسال نطاق الحدود الجغرافية لدولة الإرسال حيث يمكن استقباله في دول ومناطق أخرى عبر أجهزة خاصة للاستقبال تلتقط الإشارات الوافدة في القمر الصناعي. ويمكن تعريفها على أنها تلك القنوات التي تنقل رسائل وبرامج إعلامية متنوعة في جميع المجالات الاجتماعية، الثقافية، السياسية، الاقتصادية... لتلبية حاجات و ميولات الأفراد في مختلف أنحاء العالم عن طريق الأقمار الصناعية.

3-2 خصائص الفضائيات التلفزيونية:

✓ البعد المرئي، الحركي والسمعي: حيث يتوفر التلفزيون على البعد المرئي المتوفر في الصورة والذي يميل الأفراد إلى تصديقه أكثر من البعد اللفظي،

ثم إن البعد السمعي مكمل للصورة وعامل مساعد إلى درجة كبيرة في إيصال الموضوع وشرحه وتفسيره، كما أن البعد الحركي و الذي يعطي للمضامين حياة وفاعلية، واستعمال الألوان في البث زاد ثقة المشاهد فيما يتابعه.¹⁹

✓ الأنبة في نقل الأحداث: إذ استطاعت الفضائيات التلفزيونية أن تقدم الأحداث لحظة وقوعها، حيث عملت على تحقيق التزامن بين وقوع الحدث وبين زمن العرض من خلال عملية البث المباشر.²⁰

✓ التكرار: بالنظر إلى أن الإنتاج التلفزيوني بمعظمه مسجل على أشرطة وأفلام، فإن قابلية عرض البرامج بشكل متكرر قائمة باستمرار، ويمثل التكرار لأي موضوع تلفزيوني جدوى اقتصادية لا بد منها، وذلك بالنظر للحاجة الدائمة إلى ملء ساعات الإرسال، أو تقديم مواد مناسبة في مناسبات متنوعة ومتعددة، وذلك بأقل تكلفة ممكنة.

✓ قدرة التلفزيون على التشويق والإثارة: إن القدرات الفنية الهائلة التي يوفرها التلفزيون من حيث سرعة الإرسال، كثرة اللقطات وتنوع الألوان والقدرة على التقاط المشاهد، وما توفره كاميرا التلفزيون من خدع تجعل منه أداة للتشويق والإثارة.

3-3- استخدام الفضائيات التلفزيونية من قبل الاسرة الجزائرية:

أصبحت مشاهدة التلفزيون جانبا حتميا، ومألوفا من جوانب الحياة اليومية عقب أقل من خمسين سنة من دخوله إلى المجتمعات، وهي فترة شهدت ترسيخ هذه الوسيلة الإعلامية بعمق في الحياة الأسرية إلى حد أن جهاز التلفزيون حصل على الأقل على منزلة الضرورة الحتمية، التي لا بد منها مثلها مثل الملابس وأدوات المطبخ وما شابه ذلك.

ظل إسهام التلفزيون في الحياة الأسرية مسألة يحوطها الالتباس، فبينما حال في الواقع، دون تشتت أفراد الأسرة، إلا أنه لم يفلح في تقريبهم معا، ومن خلال سيطرته على الوقت الذي تقضيه الأسر معا، دمر التلفزيون الطابع الخاص الذي يميز أسرة عن أخرى، وما يجمعها من طقوس خاصة وألعاب، ودعابات متكررة، وأغان شائعة، وأنشطة مشتركة.

ومع تعود الأسرة تمضية المزيد والمزيد من الوقت، وبلا انقطاع في نشاط مشاهدة التلفزيونية وحده صارت الطقوس الأسرية، وأساليب التسلية التي أعطت الحياة الأسرية طابعها الخاص فيما مضى نادرة أكثر فأكثر، ولم يحدث أن بلغت الأسر هذا المستوى من التماثل التام منذ أزمة ما قبل التاريخ،

حين كانت الأسر التي سكنت الكهوف تمارس الصيد، وجمع الغذاء والأكل، والنوم، ولا يتبقى إلا القليل من الوقت لتراكم ثقافة ذات مغزى.

3-3-1- البث الفضائي في الجزائر:

إن ظاهرة انتشار الهوائيات المقعرة في الجزائر بدأت بشكل ملفت للانتباه مع بداية سنة 1990، ونسبة الإقبال على القنوات الأجنبية كانت في تزايد مستمر عكس المشاهدة للقنوات المحلية التي تضاعلت مساحة مشاهدتها تدريجيا، ويقدر عدد الهوائيات المقعرة (الأطباق الفضائية) بـ 20 مليون هوائي (فرنسي أو عربي)، ويتم الآن دراسة مشروع قانون يمنع وضع الأطباق على واجهات المنازل التي تطل على الشوارع وهناك العديد من شركات خدمات الفضائيات في الجزائر منها : كماجراف، ستريم سيستم، ماجينتا، وكوندور.

أما القنوات الفضائية الجزائرية فهي التالية : التلفزيون الجزائري (ملك للدولة) كنال الجري، TVA3، قناة الامازيغية، قناة القران الكريم، قناة الشروق، قناة النهار، قناة الهوقار، قناة نوميديا نيوز، قناة الجزائرية وقناة الجزائر شوب.

وتؤثر نسب أغلب الدراسات الميدانية على مدى ارتباط أفراد المجتمع الجزائري بالفضائيات حيث أصبحت تشكل جزء مهما من حياتهم اليومية، فلا يمر يوم إلا ويجلسون إلى برامجها للإطلاع على الأخبار والأحداث العالمية أو لزيادة المعلومات والمعارف أو للهروب من واقع التلفزيون المحلي، أو حتى لقضاء وقت الفراغ في التسلية والترفيه .

3-3-2- الفضائيات التلفزيونية والعلاقات الأسرية الجزائرية:

- إن النشاطات الجماعية التي قد تشغل بها الأسرة الجزائرية نفسها ليست وحدها التي تقلصت بسبب الحضور القوي للفضائيات التلفزيونية في البيت ، لقد تأثرت أيضا العلاقات الأسرية ،فالساعات التي يقضيها كل فرد من أفراد الأسرة في علاقة أحادية الاتجاه مع الشخصيات التلفزيونية وهو اندماج لا يسمح بتواصل أو تفاعل أو حوار ،تؤثر من دون ريب في العلاقات الأسرية.
- وتبين الدراسات أهمية الاتصال الشخصي المباشر في علاقات الحياة اليومية من جهة، وتبين دراسات أخرى أن تناقص فرص المحادثة البسيطة بين أفراد الأسرة في البيت المتمركز حول التلفزيون جد خطيرة، حيث برهنت على صحة الافتراض القائل أن الفضائيات التلفزيونية تتدخل في النشاطات العائلية، وفي تشكيل العلاقات الأسرية بنسبة 78% أكد أصحابها على افتقاد الحوار والمحادثة أثناء المشاهدة باستثناء أوقات معينة كالإعلانات التجارية.²¹

- وهناك دراسات أخرى أثبتت أن الآباء يقبلون على استعمال الفضائيات التلفزيونية لقدرتها الفريدة على تهدئة الأطفال، ومن ثم تهدئة الجو في المنزل، وبالتالي فتح المجال لتبادل الحديث والحوار بين الوالدين، دون إزعاج أو فوضى أو تذبذب في العلاقات الأسرية، فالجهاز موجود في كل الأوقات، في كل بيت وأحياناً في كل حجرة، وحين يواجه أحد الوالدين سلوك مزعج من جانب الطفل، يكون إغراء اللجوء إلى الفضائيات التلفزيونية قوياً، إلى أن يكتشف الآباء في انزعاج ذات يوم أنهم فقدوا السيطرة على مشاهدة أطفالهم التلفزيونية، وتصبح العلاقة الأسرية ركيكة تسودها الروتينية.²²

وفي دراسات جادة ذكر عدد كبير من المتخصصين أن تماسك الأسرة العربية يجعلها قادرة على مواجهة التحديات الخارجية وسيطرة الفضائيات التلفزيونية، وهذا يستند إلى دعم وتعزيز عوامل داخلية منها²³:

أ- المعيار الشخصي والثقافي:

1. تهيئة بيئة أسرية تتسم بالأمن و الأمان و الاستمرار.
2. التعاون من أجل حياة زوجية متكاملة.
3. تحمل أعباء الحياة و التعاطف و التفاهم.
4. الاستمرارية في العطاء والقدرة على تطوير ذاتها.
5. حسن تربية الأبناء ومتابعتهم في تقدمهم الدراسي.

ب- المعيار الاجتماعي:

1. التوافق الاجتماعي مع الآخرين.
2. دور الأسرة في تعزيز القيم الإيجابية.
3. اقتداء الأبناء بالأسوة الحسنة التي يرونها في والديهم.
4. الحرص على حضور المؤتمرات و الندوات والأنشطة الثقافية والاجتماعية.
5. المشاركة في الأنشطة التطوعية.

ج- المعيار الأسري:

1. التواصل الإيجابي بين أفراد الأسرة.
2. حل الخلافات وسيادة الروح الأسرية.
3. تبادل الآراء والحوار من أجل مصلحة الأسرة.
4. دعم الحالة التعليمية لأفراد الأسرة.
5. تعاون أفراد الأسرة في تحمل المسؤولية.

د- المعيار الأخلاقي:

1. التمسك بتعاليم الدين الإسلامي الحنيف.
2. الاستقامة والبعد عن الانحرافات الخلقية.
3. النظرة الإيجابية العامة للحياة والبعد عن سلوكيات العنف.
4. التفاعل مع متغيرات العصر وتيارات العولمة بكل كفاءة.
5. مدى التزام الأسرة بمنظومة القيم والهوية.

3-3-3- ترشيد استخدام الفضائيات التلفزيونية:

إن إحدى النصائح التي قدمت للتعامل مع التلفزيون هي ترشيد استخدامه.

- يمكن تسخير التلفزيون لخدمة المشاهدين بجعل مدة المشاهدة قصيرة نسبياً، إذ ليس هناك قانون يفرض على الإنسان أن يتابع برامج التلفزيون من بداية البث حتى نهايته، ولا أن يشاهد معظم البرامج، بل يمكنه اختيار البرنامج الذي يستفيد منه دينياً، خلقياً، فكرياً وصحياً، وإقبال التلفزيون فيما عدا ذلك للاستفادة من وقته وعمره، وهذا ممكن جداً بالإرادة القوية والإيمان الواعي.
- يجب أن نكون سريعين في إطفاء التلفزيون عند ظهور أي مادة نجد أنها عدوانية أو مشمئزة، فمن الواضح أن معظمنا لا يريد أن يستسلم لأجهزة التلفزيون تماماً، فعندما ندرك أن القوة في أيدينا، وأنه يمكننا أن نستعيد التحكم وإنهاء غسيل الدماغ الإداري، فربما نجد التلفزيون مرة أخرى قد أصبح صديقاً ساراً بدلاً من غريب معاد.
- وهناك طريقة مجربة ينصح بها للإقلال من مدة المشاهدة والتخلص من أسر التلفزيون تدريجياً وهي أن يبدأ المشاهد أولاً بترك مشاهدة المسلسلات التي تربطه ويضطر لمتابعتها يومياً في أوقات محددة لمعرفة أحداثها التالية فهي من المسببات الكبرى لإدمان مشاهدة التلفزيون.
- أن يقتصر على مشاهدة البرامج التي تبدأ وتنتهي في حينها، ثم بعد ذلك يبدأ بالإقلال تدريجياً من مشاهدة هذه البرامج، وهناك بعض الناس الذين لا يحبون أن يسلب إرادتهم وسلطتهم شيء قد تركوا حتى مشاهدة نشرة الأخبار في التلفزيون، وهي الأخرى من المسببات الكبرى لإدمان المشاهدة، واستبدلوها بالجريدة وقالوا أن التلفزيون يفرض عليهم مشاهدة الأخبار في وقت محدد لا إرادة لهم فيه.
- محاولة تنمية قدرتنا على نقد كل برنامج نراه، ولنسأل أنفسنا دائماً عقب مشاهدة أي برنامج عن ما هي الفائدة التي حصلنا عليها من مشاهدة هذا البرنامج.

خاتمة:

تعتبر الأسرة الوحدة الاجتماعية الأولى التي ينشأ فيها الطفل ويتفاعل مع أعضائها، وبالتالي فهي المسؤولة عن بناء الشخصية الاجتماعية والثقافية للأفراد، وإن كانت الأسرة هي النواة الأولى لعملية التنشئة الاجتماعية، فهذا لا يعني أنها المؤسسة الوحيدة التي تتولى هذه العملية، فهناك مؤسسات أخرى كالمدرسة، الرفاق، المسجد ووسائل الإعلام، هاته الأخيرة التي شهدت تطورات هائلة في عصر العولمة و تكنولوجيا الاتصال، حيث انتشر استخدام الفضائيات التلفزيونية في البلاد العربية عامة وفي الجزائر خاصة حيث أصبحت تمثل وسيلة أساسية للترفيه والتثقيف والتعليم والتنشئة الاجتماعية عند أغلب الأسر الجزائرية، صحيح أن للفضائيات التلفزيونية دور مهم في إكساب الفرد الأنماط المختلفة من السلوك التي تؤدي إلى القبول الاجتماعي، بالإضافة إلى إعطائه فكرة عن كيفية التعامل مع الأسرة والمجتمع، وتحيطهم علما بحقوقهم، كما تستطيع القيام بدور الوسيط بين الزوجين، وبين الوالدين وأبنائهم بما يساعد على تكييف الأطفال اجتماعيا ووالديهم وأسرهم ومجتمعهم.

لكن تعرض الأسرة لساعات مشاهدة طويلة يؤدي إلى ضعف التفاعل الأسري بين الطفل ووالديه، بل بين الطفل ونفسه وإخوانه وأخواته مما يؤدي إلى التأثير السلبي للفضائيات التلفزيونية على تبادل الأحاديث والتفاعل بين أفراد الأسرة من خلال تأثيرها في العلاقات الأسرية، وتسهيلها لعملية انسحاب الوالدين من القيام بدور فعال في التنشئة الاجتماعية لأطفالهم، وفي حلولها محل الطقوس الأسرية والمناسبات الخاصة.

الهوامش:

- ¹ عبد العاطي السيد وآخرون، **السيرة والمجتمع**، (القاهرة: دار المعرفة الجامعية، 2006)، ص 7.
- ² صالح المالك حصة ونوفل ربيع محمود، **العلاقات الأسرية**، (الرياض: دار الزهراء، 2005)، ص 14.
- ³ سليم راتب سهام، **بناء برنامج إرشادي جمعي لتدريب الأمهات على مهارات الاتصال وحل المشكلات وقياس أثره في تحسين العلاقات الأسرية**، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، (جامعة عمان للدراسات العليا، 2007)، ص 20.
- ⁴ أحمد عويس غفاف، **النمو النفسي للطفل، ط 1**، (القاهرة: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 2003)، ص 186.
- ⁵ جازي مصطفى، **الصحة النفسية من منظور ديناميكي تكميلي في البيت والمدرسة**، (بيروت: المركز الثقافي العربي، 2000)، ص 96.
- ⁶ الطيطي نور الإسلام أحمد عطا الله، **الاتصال الأسري في حياة النبي صلى الله عليه وسلم**، دراسة تحليلية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الشريعة، (جامعة آل البيت، الأردن، 2008)، ص 22.
- ⁷ الجرذوي عبد الرؤوف عبد العزيز، **دراسة في علم الاجتماع الإسلامي: الإسلام وعلم الاجتماع العالي**، (الأرن: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1994)، ص 61.
- ⁸ منصور هالة، **الاتصال الفعال مفاهيمه وأساليبه ومهاراته**، (الإسكندرية: المكتبة الجامعية، 2000)، ص 47.
- ⁹ أبو عرقوب إبراهيم، **الاتصال الإنساني ودوره في العالي الاجتماعي ط 1**، (عمل: دار مجدلاوي، 1993)، ص 124.
- ¹⁰ الخولي سناء، **الزواج والعلاقات الأسرية**، (القاهرة: دار المعرفة الجامعية، 1995)، ص 217.
- ¹¹ الكيلاني ماجد عرسان، **ثقافة الأسرة المعاصرة: بحث عن دور الأسرة في الأصول الاجتماعية للتربية والتعليم في الأقطار العربية المعاصرة**، (الإمارات: دار العلم، 2005)، ص 50.
- ¹² بدوي هناء حافظ، **الاتصال بين النظرية والتطبيق**، (الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث، دس ن)، ص 155.
- ¹³ البخاري **الأب الفرد**، ص 891.
- ¹⁴ الشايب محمد أحمد، **مفهوم الاتصال والعلاقات الإنسانية**، مركز الأبحاث والتطوير التربوي، دائرة التعليم المستمر، تنظيم ومتابعة: جويت أحمد سعادة، (جامعة اليرموك، الأردن، 1988)، ص 17.
- ¹⁵ الحارمي خالد حامد، **المشكلات التربوية الأسرية والأساليب العلاجية**، (الرياض: دار علم الكتب، 2002)، ص 24.
- ¹⁶ الصديقي سلوى عثمان، **الأسرة والسكان من منظور اجتماعي ديني**، (الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث، 2003)، ص 20.
- ¹⁷ الفريخ مازن بن عبد الكريم، **الحوار الأسري وأثار انعدامه**، نشر (بتاريخ 11-11-2008 على الساعة 09:30) على الموقع <http://www.naseh.net/index.php:view@p>
- ¹⁸ عبد النبي سليم، **الإعلام التلفزيوني، ط 1**، (عمل: دار أسامة للنشر والتوزيع، 2010)، ص 37.

- ¹⁹ كباره أسامة طاهر، برامج التلفزيون والتنشئة التربوية والاجتماعية للأطفال، ط1، (بيروت: دار النهضة العربية، 2003)، صص 154، 155.
- ²⁰ الدليمي عبد الرزاق محمد، عولمة التلفزيون، ط1، (عمان: دار جرير للنشر والتوزيع، 2005)، ص 23.
- ²¹ وين ماري، الأطفال والإيمان التلفزيوني، ترجمة: عبد الفتاح الصبحي، (الكويت: عالم المعرفة، 1999)، ص 159.
- ²² دينيس مأكويل، الإعلام وتأثيره، ترجمة: عمر عثمان العربي، ط1، (الرياض: دار طيبة، 1992)، ص 150.
- ²³ أحمد البستان، "الأسرة ومجتمع المعلومات"، المجلة العربية للثقافة، العدد 51، تونس، سبتمبر 2007، ص 67، 68.